بسم الله الرحمن الرحيم

جواب سؤال

المشهد السياسي في نيجيريا

السؤال:

جرت انتخابات المحافظات والولايات في نيجيريا في ٢٠٢٣/٣/١١، وذلك بعد الفراغ من الانتخابات الرئاسية التي أعلنت نتائجها في يوم ٢٠٢٣/٣/١ بفوز مرشح الحزب الحاكم حزب المؤتمر التقدمي بولا أحمد تينوبو حيث جرت تلك الانتخابات في يوم ٢٠٢٣/٢/٢٥... وقد اعترض على النتائج منافسه في الحزب الشعبي الديمقراطي عتيق أبو بكر الذي جاء في المرتبة الثانية، وكذلك منافسه عن حزب العمال بيتر أوبي الذي جاء في المرتبة الثالثة. وأعربت أمريكا عن قلقها وأعلنت دعمها للمعترضين على النتائج ولم تقدم تهنئة للفائز، بينما أعلنت بريطانيا ابتهاجها بالنتائج وهنأت الرئيس المنتخب. فما هي المتغيرات التي حدثت في المشهد السياسي في نيجيريا؟ وماذا يعني أمريكا وبريطانيا بهذه الانتخابات؟ وماذا تعني مواقفهما منها؟

الجواب:

لكي يتضح الجواب على التساؤلات أعلاه نستعرض الأمور التالية:

١- نيجيريا بلد مسلم، فقد دخل الإسلام إلى منطقة كانو بشمال نيجيريا في وقت مبكر منذ منتصف القرن السابع الميلادي، وانتشر في أرض الهوسا وأرض الفولاني شمال ووسط نيجيريا عبر التجارة، وانتشر الإسلام بشكل فعلي في أواسط القرن العاشر الميلادي على أيدي الفقهاء الأندلسيين.. ثم فيما بعد أقيمت إمارة إسلامية في تلك المناطق سُميت بالخلافة العثمانية أو خلافة سوكوتو نسبة إلى عثمان دانفوديو الذي استمرت دولته قرابة المائة عام حتى قضى الإنجليز عليها في العام ١٩٠٤م.. ويشتهر المذهب المالكي في المحاكم الشرعية في نيجيريا، وأكثر المسلمين من السنة، وتطبق ١٢ ولاية بعض أحكام من الشريعة الإسلامية.

٢- عدد سكان نيجيريا الآن نحو ٢٢٠ مليوناً حيث كانت تقديرات الأمم المتحدة في ٢٠٢١ نحو ٢١٩ مليون، وغالبية السكان من المسلمين بنسبة تتراوح بين ٦٥% و٧٥% حسب الإحصاءات المختلفة.. وأما مساحة نيجيريا فتقارب المليون كيلومتر مربع، وما بين الأعوام ١٩٠٠-١٩٠٤م تمكنت بريطانيا من بسط سيطرتها على جميع المناطق التي صارت تعرف باسم نيجيريا، وذلك بعد أن قضت على الحكم الإسلامي فيها. ثم أعطتها بريطانيا استقلالها الشكلي في ١٩٦٠/١٠/١، وسلمت الحكم إلى أقلية الإيبو النصرانية، ثم ضمتها إلى الكومنولث في عام ١٩٦٣م. تتألف نيجيريا من أعراق مختلفة، أكبرها ثلاث مجموعات عرقية كبيرة، وهي: الهاوسا والفولاني في الشمال والوسط وغالبيتها الساحقة من المسلمين، واليوربا في الوسط والجنوب الغربي وغالبيتها من النصارى ولكن فيها أقلية مسلمة كبيرة، والإيبو في الجنوب الشرقي من أقلية نصرانية كاثوليكية.

٣- وفي الانتخابات التي جرت في العام ١٩٩٩م فاز فيها أوباسنجو بلا منازع واستمر في السلطة لفترتين انتخابيتين من ١٩٩٩/٥/٢٩م حتى ٢٠٠٧/٥/٢٩م، وأظهر أوباسانجو طوال مدة حكمه انحيازاً واضحاً لأمريكا ومعاداة صارخة ضد المسلمين.. وفي انتخابات ٢٠١٥ فاز فيها محمد بخاري الموالي للإنجليز، وكان بولا أحمد تينوبو من أكبر الداعمين له، وقد تمكنا من تركيز

عملاء الإنجليز في الوسط السياسي، إذ أطلق على أحمد تينوبو لقب العرّاب السياسي وصانع الملوك، ومن ثم رشح نفسه متخذا شعار "وجاء دوري"، حيث رشح نفسه في انتخابات ٢٠٢٣ وفاز.. فقد أعلنت مفوضية الانتخابات المستقلة في نيجيريا يوم ٢٠٢٣/٣/١ فوز مرشح الحزب الحاكم حزب المؤتمر التقدمي بولا أحمد تينوبو في الانتخابات الرئاسية التي جرت يوم ٢٠٢٣/٢/٢٥، وذلك من بين ١٨ مرشحا، وقد حصل على ٨٫٨ مليون صوتا بنسبة ٣٧% من ٨٧ ملايين ناخب قد حصلوا على بطاقات الانتخابات، بينما حصل منافساه الرئيسان عتيق أبو بكر مرشح حزب الشعب الديمقراطي على نحو ٦٫٩ ملايين صوت بنسبة ٢٩%، وبيتر أوبي مرشح حزب العمال على نحو ٦٫١ ملايين صوت بنسبة ٢٥%. عتيق أبو بكر وبيتر أوبي رفضا النتائج، ويعتزمان الطعن فيها ويعتبران أنه جرى التلاعب فيها والذي أدى إلى "اقتراع لم يكن حرا ولا نزيها ولا شفافا". وقام عتيق بتسيير مسيرة من أتباعه يوم ٢٠٢٣/٣/٦ واحتشدوا خارج مكاتب اللجنة الوطنية المستقلة للانتخابات وقدم مسؤول في حزب الشعب الديمقراطي التماسا إلى مسؤول في لجنة الانتخابات متعلقا بالأمر.. ومع ذلك لم تتغير نتائج الانتخابات.

٤- ولهذا أشادت بريطانيا بالعملية الانتخابية في نيجيريا كما جاء على لسان وزير خارجيتها جيمس كليفرلي في بيان نشره الموقع الرسمي للحكومة البريطانية يوم ٢٠٢٣/٣/١ وهنأ الرئيس المنتخب بولا أحمد تينوبو. فمما جاء في البيان: ("تثني المملكة المتحدة على الناخبين النيجيريين لمشاركتهم في الانتخابات الرئاسية وانتخابات الجمعية الوطنية وعلى صبرهم ومرونتهم في ممارسة حقوقهم الديمقراطية. نهنئ الرئيس المنتخب بولا أحمد تينوبو. ونلاحظ موقف أحزاب المعارضة من نتيجة الانتخابات والمخاوف التي أعربت عنها بعثات المراقبة والمجتمع المدني بشأن تنظيم العملية بما في ذلك التأخير والتحديات الفنية. نحن نشجع السلطات على دراسة جميع المخاوف بعناية واتخاذ إجراءات لحل القضايا العالقة والتركيز على تحقيق إرادة الشعب النيجيري"). فهذا موقف مؤيد للرئيس المنتخب من قبل بريطانيا، وهي لا تتهم حملته بالتزوير أو بالتلاعب وإنما تطلب من سلطاته دراسة جميع المخاوف معتبرة السلطات نزيهة في الدراسة. وبجانب ذلك ظهر تأييد من الاتحاد الأوروبي في مواجهة أمريكا، فقال ممثل السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل ("إن الانتخابات الرئاسية والبرلمانية التي شهدتها نيجيريا قبل أيام فرصة رئيسة لتدعيم الديمقراطية في البلد بغرب أفريقيا. برغم السياق الصعب والإخفاقات التشغيلية أظهر الشعب النيجيرية التزامه بالديمقراطية"... كونا ٢٠٢٣/٢/٢٨). ومن هنا يظهر دعم بريطانيا للرئيس المنتخب الجديد في نيجيريا كما يظهر تأييد أوروبا له في مواجهة النفوذ الأمريكي في أفريقيا.

٥- كان الموقف الأمريكي سلبيا تجاه انتخاب بولا أحمد تينوبو. قال الناطق باسم الخارجية الأمريكية نيد برايس في بيان ("يحق للنيجيريين أن تساورهم مثل هذه المخاوف، لكن ينبغي أن تكون لديهم توقعات كبيرة للانتخابات الأخيرة. هناك آليات راسخة قائمة للفصل في النزاعات الانتخابية. ونشجع أي مرشح أو حزب يسعى للطعن في النتائج، لمتابعة سبل الإنصاف القانوني عبر هذه الآليات. ننضم إلى المراقبين الدوليين الآخرين في حث اللجنة الانتخابية الوطنية المستقلة على تحسين الوضع في المناطق التي تحتاج إلى أكبر قدر من الاهتمام.. نتفهم أن النيجيريين وبعض الأحزاب أعربوا عن إحباطهم بشأن الطريقة التي أجريت بها العملية الانتخابية، خصوصا أوجه القصور في العناصر الفنية التي استخدمت لأول مرة في انتخابات الرئاسة. يساورنا القلق أيضا إزاء التقارير التي تتحدث عن تعرض أعضاء وسائل الإعلام للهجوم في أثناء الانتخابات"... صفحة ليدرشيب النيجرية ٢٠٢٣/٣/٢)، فأمريكا هنا تؤيد مواقف الأحزاب المعارضة في اعتراضاتها على العملية الانتخابية وتشجعها على الاعتراض ولم تقدم تهنئة للرئيس الفائز، وتعلن أن القلق يساورها إزاء تقارير تتحدث عن تعرض وسائل الإعلام للهجوم أثناء الانتخابات. ما يؤكد أن الرئيس الجديد ليس على هواها ولا تابعا لها.

٦- إن المرشح عتيق أبو بكر الذي يمثل الحزب المعارض كان يشغل نائب الرئيس في عهد أولوسيجون أوباسانجو خلال الفترة ١٩٩٩-٢٠٠٧. والمعروف أن أوباسانجو كان تابعا لأمريكا. فظهر أن أمريكا تدعم عتيق أبو بكر ليصل إلى الحكم. ولكونه من أصل مسلم جعلته ينافس بولا أحمد تينوبو الذي هو أيضا من أصل مسلم وله ثقل وتأييد ولديه قدرات مالية، وهو في الطرف الآخر مع محمد بخاري من عملاء الإنجليز. وقد انخفضت شعبية حزب الشعب الديمقراطي بسبب الفساد الذي استشرى على عهده وهو يحكم البلاد في الفترة ما بين عام ١٩٩٩ وعام ٢٠١٥، وخاصة على عهد كودلاك جوناثان، وقيام الأخير بصب الزيت على النار، بممارساته التعسفية والتمييز ضد المسلمين واضطهادهم بدعوى (محاربة الإرهاب). حتى إن سيدته أمريكا وجهت انتقادات لهذا الفساد المستشري في الحزب وفي الحكم على عهده، ولكن ليس لإصلاحه وإنما لإحكام القبضة عليه، إذ تورطت الطغمة الحاكمة بالفساد، وبذلك كان بيد أمريكا تَمسك عليهم فإذا خالفوها فضحتهم، وأرادت أن تماشي الرأي العام لتظهر كأنها ضد الفساد وهي التي تسكت عليهم ولا تعمل على إصلاحهم وهي المفسدة وداعمة المفسدين في الأرض.

٧- لهذا احتاطت إذا لم ينجح مرشح حزب الشعب الديمقراطي عتيق أبو بكر يكون لها رجل آخر وقد عملت على تلميعه وهو بيتر أوبي وكأنه نظيف! فاستقال من حزب الشعب الديمقراطي العام الماضي، في شهر أيار ٢٠٢٢، وانضم إلى حزب العمال، ويظهر أنها احتسبت أن تتوزع أصوات المسلمين الذين يشكلون الأكثرية في نيجيريا بين عتيق أبو بكر مرشح حزب الشعب الديمقراطي وبين بولا أحمد تينوبو مرشح حزب المؤتمر التقدمي الحاكم الموالي للإنجليز، وكذلك رابيو موسى كوانكواسو وهو من أصل مسلم ومرشح حزب الشعب النيجيري القومي الذي بدأ يشيع صيته وجاء في المرتبة الرابعة في الانتخابات الأخيرة بنسبة ٦%. ولهذا عمدت أمريكا إلى دعم بيتر أوبي وهو نصراني وأخذت وسائل الإعلام الأمريكية على تلميعه، وتشيع أنه المرشح المفضل للشباب النيجيري وهم يشكلون ٦٠% من السكان ويتوقون للتغيير ولحكم جيل الشباب. فقد ذكرت شركة بلومبيرغ الإعلامية الأمريكية أنها أجرت استطلاعا للرأي العام في نيجيريا وأظهر الاستطلاع لنحو ٢٣٨٤ نيجيريا عبر تطبيق الهواتف الذكية أن بيتر أوبي قد يفوز في الانتخابات الرئاسية. وكذلك فعلت مثل ذلك مؤسسة إي إن إي بي الأمريكية وتوقعت فوز بيتر أوبي. وكذلك توقع المعهد الديمقراطي الوطني والمعهد الجمهوري الدولي الأمريكيان مثل ذلك. علما أن حزب الشعب الديمقراطي كان هو المسيطر على المشهد في نيجيريا حتى عام ٢٠١٥ وكان الحزب الوحيد الذي يتمتع بالقوة للفوز في الانتخابات الرئاسية، وكان الوسط السياسي يميل لحساب أمريكا. ولكن المشهد السياسي قد تغير بتمكن محمد بخاري عميل بريطانيا بالفوز رغم محاولات أمريكا عرقلة فوزه.

٨- إن الثروة النفطية في نيجيريا قد جعلت الدول الكبرى وبخاصة بريطانيا وأمريكا في صراع ساخن حولها، فإن نيجيريا تحتل المرتبة الثانية عشرة من بين الدول المنتجة للنفط في العالم وثامن دولة مصدرة للنفط وعاشر دولة من حيث احتياطي النفط. وقد تم تقدير احتياطي النفط في نيجيريا من قبل وكالة معلومات الطاقة الأمريكية ما بين ١٦ إلى ٢٢ مليار برميل، إلا أن تقديرات أخرى تقول بأنه يصل إلى ٣٥,٣ مليار برميل.. وهذا النفط هو سبب سيلان لعاب المتنافسين على نفط نيجيريا كونه من الصنف الخفيف أو الحلو أي أنه نقي من الكبريت إلى حد بعيد وتكريره منخفض التكاليف. وعند نيجيريا ١٥٩ حقلاً نفطياً و١٤٨١ بئراً نفطياً بحسب وزارة النفط النيجيرية. وكانت الشركات النفطية البريطانية هي المتحكمة في النفط النيجيري غير أن دخول أمريكا على خط النفط، وبخاصة بعد ١٩٩٩م، أي في عهد أوباسينجو، قد حدَّ من استفراد الشركات البريطانية.

٩- تواجه نيجيريا مشاكل خطيرة مثل انعدام الأمن والاقتصاد المتعثر والديون الهائلة والفقر المدقع وفساد السياسيين.

فأوضاعها الاقتصادية متردية فقد بلغ معدل التضخم ٢١,٥% في نهاية عام ٢٠٢٢، ومعدل البطالة ٣٣% لجميع البالغين و٤٢,٥% للشباب. ويعيش نحو ٤٠% من أهل البلاد البالغ عددهم نحو ٢٢٠ مليون نسمة تحت خط الفقر حسب تقديرات البنك الدولي في آذار ٢٠٢٢. وتراجعت قيمة العملة النيجيرية. وتنامى الفساد بشكل كبير ما دفع الدولة إلى تغيير ثلاث فئات من عملة البلاد في بداية الشهر الماضي شباط ٢٠٢٣. علما أنها تعد من أكبر الاقتصادات في أفريقيا، وتتعاظم مشكلة سرقة النفط في جنوب البلاد وهي مشكلة مزمنة ما أدى إلى تراجع صادرات البلاد من النفط، بالإضافة إلى النقص في وقود السيارات. وتعاني من ديون بلغت نحو ١٠٣ مليارات دولار حسب إحصاء حزيران ٢٠٢٢ وتصل خدمة تلك الديون أي الربا والتأمينات عليها بنحو ١٢ مليار دولار سنويا. مع أنها من كبار مصدري النفط، وهذا لم يسعفها بسبب تلك المشاكل الخطيرة المستعصية. وكل ذلك يرجع إلى فساد الحكم والحكام وتبعيتهم لدول الاستعمار القديم والجديد. فالحل بإزالة هذا الفساد أي بتغيير نظام الحكم الذي صاغته بريطانيا المستعمرة عندما أعطت لنيجيريا الاستقلال الشكلي ولكنها بقيت مستعمرة بأشكال أخرى وخاصة الحكم والاقتصاد. ووضعت لها دستورا مستوردا من الدساتير الغربية ونصبت حكاما تابعين لها لا فرق بين أن يكونوا من أصل مسلم أو من أصل نصراني. إلى أن جاءت أمريكا في منتصف سبعينات القرن الماضي واخترقت الجيش وبدأت في منافسة بريطانيا والصراع معها على البلاد.

١٠- بالإضافة إلى كل ذلك تدخُّل الدول المستعمرة وخاصة أمريكا وبريطانيا في شؤون البلاد بشكل مباشر. فتصريحات المسؤول الأمريكي المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، وبيان وزير الخارجية البريطانية، ومن ثم تصريحات مسؤول الشؤون الخارجية للاتحاد الأوروبي تعتبر تدخلا مباشرا في شؤون البلاد. فالأساس أن يقوم الحكام والسياسيون في نيجيريا باستنكارها ورفضها والطلب من تلك الدول الكف عن التدخل في بلادهم وتحذيرهم من ذلك وقطع الصلات معهم. ومن ثم التفكير في كيفية إنقاذ البلد بشكل جاد ومخلص والبحث عن حلول جذرية وليست ترقيعية أو تخديرية. وإذا حصل مثل ذلك فإنهم سوف يتوصلون بأن الإسلام هو الحل، ولا ينقذ نيجيريا وشعبها بكل أطيافه إلا الإسلام الذي يساوي بين الجميع في تطبيق النظام المتجسد في خلافة راشدة على منهاج النبوة، فلا يحابي أحدا من الرعية في تحقيق مصالحهم وتأمين ما يلزمهم في معيشتهم وحلهم وترحالهم، سواء أكانوا مسلمين أم نصارى... وهو الذي ينهض بالبلاد ويخلصها من الاستعمار ويحدث فيها ثورة صناعية تجعل البلاد متقدمة ومتفوقة، يبنون صناعتهم ويستخرجون نفطهم وتكون كل عوائده لهم، وتوزع عليهم بدون تمييز، فيستغني الجميع، ويأمنون على أرواحهم وأعراضهم وعلى أموالهم، فلا بطالة ولا فقر ولا خوف ولا جوع.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

في الحادي والعشرين من شعبان ١٤٤٤هـ

٢٠٢٣/٣/١٣م